ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من يستعفف يُعِفُّه الله، ومن يستغنِ يغنه الله، ومن يتصبر يصبرهُ الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**».

اشتمل الحديث على جمل جامعة نافعة، فقوله: «**من يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله**» هاتان الجملتان متلازمتان؛ فإن كمال العبد في إخلاصه لله رغبة ورهبة، وتعلقاً به دون المخلوقين، فعليه أن يسعى لتحقيق هذا الكمال، ويعمل كل سبب يوصله إلى ذلك، حتى يكون عبداً لله حقاً حراً من رق المخلوقين، وذلك بأن يجاهد نفسه على أمرين:

١- أن يصرفها عن التعلق بالمخلوقين، بالاستعفاف عما في أيديهم، فلا يطلبه بمقاله ولا بلسان حاله، ولهذا قال ﷺ لعمر ﵁ : «**ما أتاك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**»متفق عليه، فقطْعُ الإشراف في القلب وقطع السؤال باللسان تعففاً وترفعاً عن منن الخلق، وعن تعلق القلب بهم: سبب قوي لحصول العفة.

وتمام ذلك أن يجاهد نفسه على الأمر الثاني: وهو الاستغناء بالله، والثقة بكفايته سبحانه، فإنه من يتوكل على الله فهو حسبه، وهذا هو

المقصود، فإن من استعف عما في أيدي الناس، أوجب له ذلك أن يقوى تعلقه بالله، ورجاءه وطمعه في فضل الله وإحسانه، وحسن ظنه وثقته بربه، والله تعالى عند حسن ظن عبده به.

ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»رواه مسلم، فجمع الخير كله في هذا الدعاء، خير الدين وخير الدنيا، فالهدى هو العلم النافع، والتقى هو العمل الصالح وترك المحرمات كلها، وبذلك يصلح الدين، «**والعفاف والغنى**» العفاف عن الخلق وعدم تعليق القلب بهم، والغنى بالله وبرزقه والقناعة بما فيه،

فمن كان غنياً بالله فهو الغني حقاً، وإن قلت حواصله، فليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس.

فمن رزق الهدى والتقى والعفاف والغنى نال السعادتين وحصل له كل مطلوب ونجى من كل مرهوب.

وأما قوله: «**ومن يتصبر يصبرهُ الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**» فإن الصبر كسائر الأخلاق يحتاج إلى مجاهدة للنفس وتمرينها وهو كقوله ﷺ: «**إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطه، ومن يتوقى الشر يوقه**»رواه الطبراني(حسن) ولهذا قال:

«**ومن يتصبر**»: أي يجاهد نفسه على الصبر، و«**يصبره الله**»: أي يعينه.

وإنما كان الصبر أعظم العطايا وأوسعها؛ لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، فكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر، فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله، حتى يقوم بها ويأديها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها حتى يرضى بقضاء الله، بل يحتاج إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله على نعمائه، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر.

- ٥ -

الخطبة الثانية:

وقد وعد الصابرين في كتابه وعلى لسان رسوله أموراً عالية جليلة، وعدهم بالإعانة في كل أمورهم وأنه معهم بالعناية والتوفيق والتسديد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة]، وأنه سبحانه يحبهم ويثبت قلوبهم وأقدامهم ويلقي عليهم السكينة والطمأنينة ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن

قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [آل عمران]، ويتفضل الله على الصابرين بالصلوات والرحمة والهداية عند المصيبات ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة]، ويوفيهم الله أجرهم بغير حساب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ

حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر].

والصبر في إبتدائه صعب شديد، وفي انتهائه سهل حميد، فبه ينال الفلاح والفوز بالجنة، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد].